

الإسلام في إسبانيا

بقلم: د. علي المنتصر الكتاني



١ - وصف عام لإسبانيا:

إسبانيا دولة ملكية تقع في غرب البحر الأبيض المتوسط، مساحتها (٥٠٤,٧٥٠) كيلومتراً مربعاً، وسكانها (٤٠) مليون نسمة سنة (١٩٩١م). وتحد إسبانيا شمالاً فرنسا والمحيط الأطلسي، وغرباً البرتغال، وجنوباً مضيق جبل طارق الذي يفصلها عن المغرب، وشرقاً البحر الأبيض المتوسط.

وتكوّن إسبانيا مع البرتغال شبه الجزيرة الإيبيرية، وتفصلها عن فرنسا جبال البرانس. وتبعد إسبانيا الجزر الشرقية في البحر الأبيض المتوسط، وهي: ميورقة، ومنورقة، وبابسة، وفرمنتيرة، وقبريرة. ومساحتها (٥,٠١٤) كيلو متراً مربعاً، وسكانها (٧٦٦,٠٠٠) نسمة (١٩٩١م)، وكذلك الجزر الخالدات مقابل الشاطئ المغربي في بحر المحيط، ومساحتها (٧,٢٧٣) كيلومتراً مربعاً، وسكانها (١,٦٠٠,٠٠٠) نسمة (١٩٩١م)، ويتكون القسم القاري من إسبانيا من هضبة تحدها من جهاتها الأربعة جبال عالية، كشارات الثلج في الجنوب، وأعلى قمة أم الحصن وعلوها (٣,٤٧٨) متراً فوق سطح البحر، وفي الشرق شارات كونكة وابن الرزين، وفي الشمال شارات وادي الرمان، وأعلى قمة فيها قمة المنصور وعلوها (٢,٥٩٢) متراً فوق سطح البحر. وتتخلل هذه الجبال سهول نهريّة، وساحلية كانت في التاريخ مركز الحضارة الإسلامية. وأهم أنهار

إسبانيا هي الوادي الكبير ووادي يانسة ووادي تاجه ونهر إبرة ونهر الدويرة.

وتتجزأ إسبانيا إدارياً إلى (١٧) ولاية ذات استقلال ذاتي وهي: الأندلس، وأراكون، وآستورياش، وقشتالة ليون، وقشتالة مانشة، وقطلونية، واسترامدورة، وجليقية، ومرسية، ونبارة، وبلنسية، والجزر الشرقية، والجزر الخالدات، وأوسكادي، وقنتيرية، ومجريط، ولا ريوخا. وأهم مدن إسبانيا اليوم هي العاصمة مجريط (مدريد)، وبرشلونة، وبلنسية، وإشبيلية، وسرقسطة، وقرطبة، وغرناطة. وحكم إسبانيا منذ الحرب الأهلية التي دامت بين سنة (١٩٣٦م) وسنة (١٩٣٩م)، الجنرال فرانكو. وبعد موته سنة (١٩٧٥م) أصبح الملك خوان كارلوس ملكاً على البلاد.

وإسبانيا بلاد زراعية لكن الصناعات أخذت تنتشر خاصة في المناطق الشمالية. ويزور إسبانيا كل سنة ملايين السواح حتى أصبحت السياحة من أهم مشاغل البلاد في مناطق مختلفة بالأخص في الأندلس.

٢- تاريخ الوجود الإسلامي قبل سقوط غرناطة:

كانت شبه الجزيرة الإيبيرية قبل دخول الإسلام لها، تحت حكم العزيفوط الغازية الذي أدى إلى استنجد سكان البلاد بالمسلمين حينما وصلوا إلى المغرب. فانجدهم رئيس الجيوش الإسلامية في المغرب، موسى بن نصير رحمه الله، بإرسال أحد قواده طارق بن زياد، على رأس جيش مكون في أكثره من المغاربة. فساند الأهالي هذا الجيش، وتحررت شبه الجزيرة بأكملها بين سنتي (٧١١ و ٧١٣م).

وأصبحت هذه المنطقة الجديدة مقاطعة تابعة لولاية المغرب في الدولة الإسلامية وعاصمتها القيروان، لكن المسلمين أهملوا منطقة صغيرة من الجبال الوعرة شمال البلاد كانت هي منطلق الغزو النصراني الذي قضى على الأندلس، مع مرّ العصور. وأخذت الهجرة الإسلامية تنتقل إلى الأندلس بأعداد صغيرة من المشرق العربي، وبأعداد كبيرة من

شمال المغرب الأقصى المجاور. وكثرت أعداد المسلمين، وارتفعت نسبتهم بين السكان باعتراف الأهالي الإيبيريين الإسلام بصفة جماعية، وعندما قدم عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس سنة (٧٥٦م) كانت نسبة المسلمين قد ارتفعت، وبذلك استطاع أن يؤسس دولة أموية قوية في المغرب اتخذ عاصمتها مدينة قرطبة على الوادي الكبير.

وأصبح المسلمون أكثرية في البلاد أيام الحكم الأموي حين وصلت الأندلس إلى أوج حضارتها وقوتها، لا تضاهيها دولة في أوروبا حينذاك. وأصبح النصارى أقلية صغيرة أضاعت لغتها، وتعربت، واتخذت الأسماء العربية أسماء لها. لكن هذه الأقلية بقيت كطابور خامس داخل الدولة الإسلامية مستعدة للانقضاض على البلاد في حال ضعفها، والتعاون مع كل غائر ومهاجم. ونظم النصارى الخارجون عن الدولة أنفسهم في إمارات جبلية نائية شمال غرب شبه الجزيرة الإيبيرية. ووصلت الدولة الأموية إلى أوجها أيام عبد الرحمن الناصر الذي حكم البلاد (٤٩) سنة بين (٩١٢ و ٩٦١).

وبدأ الضعف يسري في الدولة الأموية أيام حفيد الناصر حين سيطر على الحكم حاجبه المنصور بن أبي عامر. وكان المنصور هذا من أحسن القواد ومن أبرع رجال الدولة. فأعاد للبلاد قوتها الأولى ووحدها تحت راية الإسلام من جديد. لكن أبناء المنصور لم يكونوا في مستوى أبيهم، وكذلك لم يكن أحفاد الناصر في مستوى جدهم. إضافة إلى ذلك أن المجتمع الإسلامي الأندلسي أصبح مجزأً عنصرياً. فالمنصور بن أبي عامر اضطر إلى إدخال في جيشه أعداد كبيرة من البربر المغاربة والمماليك السقالية من فرنسا وإيطاليا وشمال أوروبا، اعتنقوا الإسلام عند وصولهم إلى الأندلس.

فأصبحت في البلاد أربعة عناصر إسلامية: العرب والبربر والإيبيريون المسلمون والسقالية المماليك. فعندما ضعفت الدولة الأموية، أخذت هذه العناصر تتطاحن مع بعضها فانهارت الدولة الأموية سنة (١٠٣١م)، وتجزأت الأندلس إلى مجموعة متعددة من الدويلات العنصرية تحت حكم ملوك الطوائف قضت على الوحدة الأندلسية. وأصبح

عدد هذه الدويلات الإسلامية الأندلسية (٢٣) دولة، منها العربي كبني عباد في إشبيلية وبني هود في سرقسطة، ومنها البربرية كبني الأفطس المكناسيين في بطليوس، وبني ذي النون الهواريين في طليطلة، ومنها السقلبية كبني مجاهد وبني غانية في شرق الأندلس.

وأخذت الدول النصرانية تلتهم الدويلات الإسلامية، فاستنجد الأندلسيون بالمغاربة. فعبر إلى الأندلس أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي بجيش عظيم هزم به القوات النصرانية في معركة الزلاقة سنة (١٠٨٦م)، ثم ضم الأندلس إلى المغرب، وقضى على ملوك الطوائف، غير أن النصارى احتفظوا بالأراضي التي احتلوها. وأهمها مدينة طليطلة والثغر الأوسط. ولما ضعفت الدولة المرابطة أخذت الأندلس تتجزأ مرة ثانية. فاستنجد المسلمون بالموحدين المغاربة سنة (١١٤٥م)، فأنجذوهم بعد أن ضاعت مناطق أخرى في شرق الأندلس أهمها سرقسطة.

وضعفت الدولة الموحدية وانهزم المسلمون انهزاماً فادحاً سنة (١٣١٢م) في معركة العقاب على يد القوات النصرانية. وأصبح تدخل الدولة المغربية المرينية متواصلاً؛ لانقاذ ما تبقى من الأندلس، لكن المرينيين لم يكونوا في قوة المرابطين والموحدين. وأصبح المغاربة يخوضون معارك دفاعية مع النصارى لأول مرة في التاريخ على أرض المغرب. وسقطت مدن الإسلام الواحدة تلو الأخرى. وكانت الفاجعة الكبرى بسقوط قرطبة - سنة (١٢٣٦م)، وإشبيلية سنة (١٢٤٨م). وكان ذلك آخر عهد الأندلس لولا الله عز وجل في توفيقه محمد الغالب ابن الأحمر الذي استطاع أن يجمع الكلمة حوله في جبال الأندلس الجنوبية. وبقيت الأندلس تشع بنورها في ذلك الجزء الصغير إلى سنة (١٤٩٢م). واستنجد الأندلسيون بالمسلمين، ولكن هذه المرة لم يكن هناك من يجيب، بل بكى المسلمون في الشرق والغرب على الأندلس بكاء العاجز، وندبها الأدباء من أهلها ومن غيرهم إلى يومنا هذا، كقصيدة الأديب الرندي صالح بن شريف المعروف بأبي البقاء التي مطلعها:

لكل شيء إذا تم نقصانُ فلا يغرب طيب العيش إنسانُ

إلى أن قال:

دهى الجزيرة أمراً عزاء له	هوى له أحد وانهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت	حتى خلت منه أقطار وبلدان
فأسال بلنسية ما شأن مرسية	وأين شاطبة أم أين جيان
وأين قرطبة دار العلوم فكم	من عالم قد سما فيها له شأن
وأين حمص وما تحويه من نزه	ونهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان البلاد فما	عسى البقاء إذا لم تبقى أركان
تبكي الحنيفة البيضاء من أسف	كما بكى لفراق الألف هيمان
على ديار من الإسلام خالية	قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المحارب تبكي وهي جامدة	حتى المنابر ترثى وهي عيدان

ثم يستنجد بالمسلمين ويصف حالة الأندلسيين في يد النصارى يباعون في أسواق الرق

فيقول:

يا من لذلة قوم بعد عزهم	أحال حالهم كفر وطفيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم	واليوم هم في بلاد الكفر عبدان
فلوترأهم حيارى لا دليل لهم	عليهم من ثياب الذل ألوان
ولورأيت بكاهم عند بيعهم	لهالك الأمر واستهوتك أحزان
يارب أم وطفل حيل بينهما	كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلةٌ مثل حُسْنِ الشمسِ إذْ طلعتْ كأنما هي ياقوتٌ ومرجانُ
يقودُها العُلجُ للمكروهِ مكرهةً والعينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ
لمثل هذا ينوبُ القلبُ من كمدٍ إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

ولنأخذ فكرة على هذا التقهقر الإسلامي في الأندلس بالأرقام من الجدول رقم (١)،
حيث بينا مساحة الأراضي الإسلامية في الأندلس عبر العصور بالكيلومترات المربعة.

العصر	السنة الميلادية بالتقريب	المساحة بالكيلومترات المربعة
عهد الولاة	٧٤٠	٧٠,٠٠٠
عهد الأمويين أيام الناصر	٩٤٠	٤٤٠,٠٠٠
عهد المنصور بن أبي عامر	١,٠٠٠	٥٨٠,٠٠٠
عهد المرابطين	١,١٠٠	٢٥٠,٠٠٠
عهد الدولة النصرية	١,٤٥٠	٣٠,٠٠٠

الجدول رقم (١) مساحة الأندلس عبر العصور:

٢- الإسلام في إسبانيا بعد سقوط غرناطة:

عندما كان الإسلام يحكم إسبانيا تحت اسمها الإسلامي (الأندلس)، كان معظم السكان مسلمين. وكان كلما استعمر النصارى القادمون من الشمال أراض إسلامية جديدة هاجر كثير من المسلمين عنها، وأتى النصارى المستعمرون من المقاطعات النصرانية الشمالية. وبقيت تحت الحكم النصراني مجموعات إسلامية كبيرة كانت تعرف تحت اسم «المدجنين»،

وكان هؤلاء هم أصحاب الخبرة في البلاد، غير أنهم كانوا يعاملون معاملة العبيد.

ولما وقعت مدينة غرناطة، آخر المدن الإسلامية تحت قبضة النصارى عام (١٤٩٢م). عقد هؤلاء معاهدة مع المسلمين يلتزمون فيها باحترام دينهم ومعتقداتهم. ولكن عندما استتب لهم الأمر نقضوا العهود وأجبروا المسلمين على التنصر. ولكن الإسلام في إسبانيا لم ينقرض بضياغ غرناطة، فلقد حافظ المسلمون على دينهم سرّاً جيلاً بعد جيل وقاموا في كل هذه الفترات بتعليم أطفالهم الدين الإسلامي. وكان كلما اكتشف أحد منهم حكمت عليه محاكم التفتيش بالحرق حياً. وهؤلاء المسلمون سرّاً، النصارى ظاهراً واسماً، سماهم الإسبان «الموريسكوس». ولقد ألفوا كتباً باللغة الإسبانية والحروف العربية، وهي اللغة التي تسمى بالعجمية، في سيرة الرسول، صلى الله عليه وسلم، وتفسير القرآن وتعاليم الإسلام. ولا زالت تلك الكتب في المكتبات الإسبانية.

وحاول هؤلاء المسلمون الهجرة بدينهم إلى بلاد المغرب العربي كلما سنحت لهم الفرصة، فكان يصل منهم سيل متواصل إلى الشواطئ المغربية. وفي عام (١٥٦٨م)، ثار المسلمون في جبال البشرات، جنوب غرناطة، تحت زعامة البطل المسلم «فرناندو دي بالور» الذي غير اسمه إلى محمد ابن أمية. ودامت الثورة ثلاث سنوات استبسل فيها المسلمون، لكنهم هزموا بعد ذلك، واستشهد الكثير منهم بما فيهم زعيمهم محمد بن أمية رحمه الله، وهرب الكثير منهم إلى المغرب.

وقد ذكر الأمير شكيب أرسلان رحمه الله في كتابه «الخلل السندسية» (الجزء الأول)، قصة بعض الموريسكيين، وكيف كانوا يكونون جمعيات سرية تعلم بعضها البعض الإسلام. كما جاء الباحث المصري محمد عبد الله عنان بقصة موريسكي آخر اسمه «الشهاب الحجري» الذي فرّ بدينه سنة (١٥٩٨م) من نواحي غرناطة، وذهب إلى مرسى شنتمرية بالبرتغال، وتكر كإسباني من إشبيلية، وركب بارجة برتغالية إلى مدينة الجديدة التي كانت تحت الاحتلال البرتغالي، ومنها هرب هو وجماعة إلى مدينة آزمور المغربية.

وبقي الإسلام حياً في الأندلس بعد فشل ثورة جبال البشترات. وتابع الإسبان مطاردتهم للمسلمين، وحرقهم أحياء كلما اكتشفوا أنهم على دين أجدادهم. ولم ينطفىئ أمل هؤلاء الأندلسيين في استرجاع بلادهم، فأخذوا يستجدون بالعثمانيين، لكن لم تأت أي نجدة. وكان آخر هجوم لقوة بحرية إسلامية على الشواطئ الإسبانية تحت قيادة خير الدين بربروسة، والي الجزائر، سنة (١٥٣٥م).

ولما يئس الإسبان من تنصير المسلمين، أمر طاغيتهم سنة (١٦١٠م) بطرد جميع المورسكيين عن إسبانيا، بعد أن صادر كل أموالهم وأخذ كل أبناءهم الذين تقل أعمارهم عن الخمس سنوات، فخرج عن إسبانيا حوالي ربع مليون مسلم إلى الشواطئ المغربية والعثمانية، حينئذ غيروا أسماءهم النصرانية إلى أسماء إسلامية وجهروا بإسلامهم في أרص الإسلام.

ولكن الإسلام لم يمت في إسبانيا بهذه الهجرة، بل بقي دفيناً في قلوب الكثيرين، جيلاً بعد جيل. ففي سنة (١٧٦٩م)، ضبطت محاكم التفتيش مسجداً سرياً في مدينة قرطاجنة أنشأه المسلمون المتصرون ظاهراً.

٤- تكوين القومية الأندلسية في القرنين (١٩ و ٢٠):

قضى قرار طرد (١٦٠٩م) للنخبة المورسكية، على تنظيمها الذي حافظ على الإسلام في الأندلس لمدة مائة وعشرين سنة بعد سقوط غرناطة. ولكن ظل الإلتواء الأندلسي دفيناً في النفوس. دون تعبير واضح، إلى أن غزت جيوش نابليون الفرنسية إسبانيا سنة (١٨٠٨م)، وعاثت فيها فساداً، فانهارت أمامها مقاومة الدولة الإسبانية. فثار أهل الأندلس في قادس، ضد الغزو الفرنسي كأندلسيين، فاستسلمت لهم البحرية الفرنسية في قادس، وهزموا الجيش الفرنسي في معركة بايلن (مقاطعة جيان)، وكونوا حكومة سرية في إشبيلية تحت اسم «المجلس الأعلى المركزي». وأعلن الثوار في قادس في (١٨١٢/٣/١٩م)

دستوراً جديداً لإسبانيا كمملكة دستورية، حددوا فيه سلطات الكنيسة والملك، وقرروا الديمقراطية في المعاملة بين الأفراد والجماعات والشعوب الإسبانية. واعترف الدستور لأول مرة بالأندلسيين كإحدى الشعوب الإسبانية ذات الشخصية المميزة. وظل دستور قادس مطلب الحركات التصحيحية في إسبانيا طول القرن التاسع عشر.

ولكن بعد خروج الفرنسيين، ألغى الملك الذي عاد في سبتمبر عام (١٨١٢م) دستور قادس، وأرجع إسبانيا إلى استبداد الملك والكنيسة. وثار الأندلسيون سنة (١٨٢٠م) ثم سنة (١٨٢٣م)، مطالبين بدستور قادس، وهاجموا محاكم التفتيش وأحرقوها. وتتابعت محاولات الرجوع إلى دستور قادس. ففي سنة (١٨٣١م)، ثار الجنرال طرخوس في الجزيرة الخضراء. وثار مالقة سنة (١٨٣٥م)، وطردت ممثلي الحكومة، وتبعت مالقة مقاطعات الأندلس الأخرى. فهزموا الجيش الإسباني، وكونوا في بلدة أندوجر (مقاطعة جيان) «مجلس أعلى للثورة» الذي كتب دستور أندوجر الذي أعلن حكماً ذاتياً للأندلس. ولكن فشلت ثورة عام (١٨٣٥م)، ورغم فشلها كانت لها أهمية كبرى في بلورة الهوية الأندلسية الجديدة، إذ تحركت الأندلس لأول مرة، منذ ثورات المورسكين، كأمة واحدة، أمام الحكم المركزي في مجريط (مدريد).

ثم رجعت إسبانيا إلى فسادها الأول، وظلت الأندلس أفقر مناطقها، يرزح أهلها تحت تجاوزات النبلاء الشماليين والكنيسة، فثار فلاحوها سنة (١٨٥٧م) في مقاطعة إشبيلية، يطالبون بأرض أجدادهم، فقضى الجيش عليهم، وقتل منهم من قتل ونفى من نفى. فأيقظت تلك الثورة الفلاح الأندلسي من سباته وحررته من عقدة الخوف المسيطرة عليه. ثم ثار فلاحو مالقة وغرناطة سنة (١٨٦١م)، فقضى عليهم كما قضى على إخوانهم في إشبيلية. وفي سنة (١٨٦٨م)، انطلقت الثورة من قادس وانتشرت في كل البلاد. فهزمت جيش الحكومة وهربت الملكة إلى فرنسا. وطالب الثوار بتأسيس جمهورية إسبانية اتحادية تعترف بالحكم الذاتي للأندلس وإلغاء الدين الكاثوليكي كدين الدولة الرسمي. لكن

الجيش أعاد السيطرة على البلاد وأرجع الملكة عام (١٨٧٣م). وفي سنة (١٨٧٤م)، تأسس «الحزب الجمهوري الاتحادي» الذي تبنى سنة (١٨٨٣م) «دستور أنتقيرة» الذي خطط لإنشاء دولة أندلسية إتحادية ديمقراطية، تمثيلية، ذات سيادة، تضمن فيها الحريات الشخصية، وتفصل فيها بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. وأصبح دستور أنتقيرة أساس المشاريع الاتحادية التي اقترحت فيما بعد.

إذن تلخصت أهم سمات الحركة الأندلسية في القرن التاسع عشر الميلادي، في الانتماء إلى منطقة واحدة (الأندلس). وأمة واحدة (الأندلسية)، والمطالبة بحقوقها، والوقوف في وجه تجاوزات الدولة المركزية والكنيسة الكاثوليكية والإقطاع الزراعي. لكن بقيت أسئلة هامة في نفوس الأندلسيين تنتظر الجواب: هل الأندلسيون يرتبطون فقط بمصالح متصلة بمنطقتهم؟ أم هم قومية تختلف عن كل القوميات الأخرى بخصائص مميزة؟ وإن كان ذلك كذلك، فما هي هذه الخصائص؟

أجاب عن هذه الأسئلة بلاس انفانتي بيريز، الذي يعده الأندلسيون اليوم، بمن فيهم المسلمون، أباً لقوميتهم ومفكراً لانبعاثهم المعاصر.

ولد بلاس انفانتي في بلدة قشريش (مقاطعة مالقة) في (٥ / ٧ / ١٨٨٥م) ودرس في بلده وفي أرشذونة (مقاطعة مالقة) وقيرة (مقاطعة قرطبة). ثم التحق بجامعة غرناطة حيث تخرج في الحقوق بامتياز سنة (١٩٠٦م). وفي سنة (١٩١٠م) عُين انفانتي عدلاً في بلدة قنطيانة (مقاطعة إشبيلية)، وعين سنة (١٩١٣م) عضواً في مجلس المحامين.

وظهرت أفكار انفانتي لأول مرة في خطاب ألقاه سنة (١٩١٤م) في إشبيلية عن «النظرية الأندلسية»، كان أساس كتابه التاريخي عن القومية الأندلسية. وفي نفس السنة، فتح مكتب محاماة في إشبيلية. وفي سنة (١٩١٦م)، أسس انفانتي أول «مركز أندلسي» في إشبيلية، تبعته مراكز أخرى من مدن الأندلس وقراها، وأصدر مجلة «الأندلس» كلسان حال المراكز الأندلسية. ومع الأيام، تحولت تلك المراكز إلى مدارس أنشطة أندلسية تثقيفية

وتخطيطية، وأخذت تستعمل عبارة «الأمة الأندلسية» لأول مرة. ثم تبلور الفكر القومي الأندلسي في اجتماع رندة عام (١٩١٨م) في النقطتين التاليتين:

١- الاعتراف بالأندلس كبلد، وقومية، ومنطقة ذات حكم ذاتي ديمقراطي على أساس دستور انتقيرة.

٢- اختيار العلم الأخضر والأبيض، علماً للأمة الأندلسية، وهو علم المسلمين الأندلسيين التاريخي.

ثم أسس انفانتي في إشبيلية دار نشر ومكتبة، نشر فيها عدداً من كتبه، كما أسس مركز الدراسات الأندلسية. وفي سنة (١٩٢٠م)، ظهر كتاب «المعتمد ملك إشبيلية»، وهي قصة مسرحية تاريخية عرف فيها انفانتي بجذور الهوية الأندلسية الإسلامية.

وفي سنة (١٩٢٣م)، تحولت إسبانيا إلى الحكم الدكتاتوري، فأقفلت الحكومة المراكز الأندلسية، واتهمت القوميين الأندلسيين بمقاومة الدولة، وأسكتت القوى المعادية للكنيسة. فركز انفانتي في التفكير في مصير الأندلس وجذور الهوية الأندلسية. فانتقل إلى أغمات بالمغرب، حيث ضريح المعتمد بن عباد، فقرر إشهار إسلامه هناك. ثم حاول بعد إسلامه ربط الحركة الأندلسية بالحركات الإسلامية والعربية.

وبعد انهيار الدكتاتورية، رجع انفانتي للحياة العامة بلغة جديدة، يمجّد فيها التاريخ الإسلامي كأساس للهوية الأندلسية، ويطالب الأندلسيين باستعادة هويّتهم، وإزاحة هيمنة الكنيسة عنهم. وشارك القوميون الأندلسيون سنة (١٩٣٠م) في مؤتمر «الشعوب التي لا دول لها» بالهند، ثم التقى انفانتي بالحركات التحررية العربية عبر مجلة «الأمة العربية» في جنيف (سويسرا) التي كان ينشرها الأمير شكيب أرسلان وإحسان المجابري.

لكن لم يعيش بلاس انفانتي ليرى انتصار أفكاره، إذ بعد أيام من انفجار الحرب الأهلية الإسبانية، قبض عليه أتباع كتائب الجنرال فرانكو وأعدموه رمياً بالرصاص في إشبيلية يوم

الإثنين (١٠ / ٨ / ١٩٣٦م)، فمات شهيداً، رحمه الله، وهو يصرخ مرتين: «عاشت الأندلس حرة».

هـ - التنظيمات الإسلامية الأولى المعاصرة:

غاب الإسلام، ظاهراً عن أرض الأندلس منذ عام (١٦٠٩م) وحفظ في القلوب. وأصبح التنصير شرطاً للإقامة في إسبانيا. وخف هذا الوضع بعد الحرب العالمية الثانية، وهجرة عدد من أهل منطقة الحماية الإسبانية بشمال المغرب إلى إسبانيا، كجنود مع جيش الجنرال فرانكو. وتكاثرت أعداد الوافدين إلى إسبانيا إلى أن وصل عددهم سنة (١٩٧١م) إلى حوالي (٩٠,٠٠٠) نسمة (٣,٠) في المائة من السكان، منهم حوالي (١٣,٠٠٠) ممن تنجسوا بالجنسية الإسبانية، ولم يكن من بينهم سوى أفراد من أصول إسبانية، أندلسية أو غير أندلسية. وقد وصل هذا الرقم إلى حوالي (٣٥٠,٠٠٠) مسلم سنة (١٩٩١م) (٩,٠) في المائة من مجموع السكان. ومنهم حوالي (٨٠,٠٠٠) مسلم حاصلون على الجنسية الإسبانية، معظمهم من أصول مغربية، وحوالي عشرة آلاف منهم ممن اعتنق الإسلام من أهل البلاد وأولادهم. ومعظم الباقين من المغاربة وأقل من الجزائر وتونس والمشرق العربي وأفريقيا جنوب الصحراء وباكستان وإيران وغيرها.

ولأول مرة سمح قانون الجمعيات بتاريخ (٢٤ / ١٢ / ١٩٦٤م) للجمعيات الدينية غير الكاثوليكية بالوجود. وفي (٢٨ / ٦ / ١٩٦٧م)، أصدرت الحكومة الإسبانية قانوناً جديداً تسمح فيه بحرية الأديان، أصبح معه من الممكن تأسيس جمعيات إسلامية لأول مرة بعد سقوط غرناطة. واستفاد من هذين القانونين الطلبة المسلمون في الجامعات الإسبانية. إذ بعد زيارة الشيخ أبو الحسن الندوي لإسبانيا سنة (١٩٦٥م) اقترح على الطلبة تأسيس جمعية إسلامية. فأسسوها في غرناطة سنة (١٩٦٦م)، وسجلوها رسمياً بوزارة العدل الإسبانية سنة (١٩٧١م) تحت اسم «الجمعية الإسلامية في إسبانيا». وفي (٢٢ / ٤ /

١٩٧٤م)، عدل نظامها لتمكينها من بناء المساجد والمراكز الإسلامية عبر إسبانيا، فكانت هذه أول جمعية إسلامية تأسست في الوقت المعاصر في إسبانيا. وقد فتحت بعد ذلك فروعاً لها في عدة مدن إسبانية.

ابتدأت الجمعية نشاطها في شقة متواضعة في غرناطة، ثم انتقل مقرها الأساس إلى مجريط (مدريد) في شقة كذلك. ثم بنت الجمعية مسجداً ومركزاً إسلامياً متكاملًا في حي تطوان بمجريط (مدريد)، وهو أول مسجد بني حديثاً في العاصمة الإسبانية. أما مراكز المدن الأخرى فكلها شقق مشرّاة أو مؤجرة. ومعظم أعضاء هذه الجمعية طلبة من سوريا وفلسطين، تخرجوا بعد ذلك، وتزوج الكثير منهم بإسبانيات، واستقروا في البلاد، وحصلوا على جنسيتها.

وإلى سنة (١٩٧٨م)، ظلت هذه الجمعية داخل الجامعات كجمعية طلابية، ثم أخذ معظم الطلاب يتخرجون ويتزوجون، فأخذت الجمعية تكتسب طابعاً لجمعية جالية إسلامية. وتركز دورها الإعلامي في إصدار دورتين بالإسبانية كل شهرين: العروة الوثقى والإسلام. وفي نفس هذه السنة، انفصل عن هذه الجمعية «المركز الإسلامي بإسبانيا». وتتكون الجمعية المنفصلة كذلك من قدماء الطلاب العرب المشاركة، ويقع مركزها الأساس في مجريط (مدريد) في شقة بشارع ألونسو كانو. وللجمعية فرع في برشلونة (قطلونية)، والجزر الخالدات، وغرناطة، وإشبيلية، ومالقة بالأندلس.

وفي سنة (١٩٩٠م)، كلفت رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة «المركز الإسلامي بإسبانيا» بإدارة مسجد الملك عبد العزيز بمربلة (مقاطعة مالقة) بالأندلس. وابتدأت فكرة بناء هذا المسجد سنة (١٩٧٩م) بقرار من الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وانتهى من البناء عام (١٩٨١م). ومن أهم أنشطة «المركز الإسلامي في إسبانيا»، المحاضرات، واللقاءات، وتوزيع الكتب الإسلامية، وإحياء الشعائر الدينية. وقد أسس «المركز الإسلامي بإسبانيا» مدرسة ابن رشد في غرناطة التي تم افتتاحها عام (١٩٨٥م).

بأربعة وسبعين تلميذاً.

وفي (٢٨ / ٦ / ١٩٧٣ م)، قدم عمدة مجريط (مدير) للهيئات السياسية الإسلامية قطعة أرض مساحتها (١,٥٠٠) متر مربع بإحدى أحياء مجريط (مدير) الجديدة لإقامة مسجد جامع عليها. وانتهت المدة المحددة ولم ين على الأرض شيء، فاستعادت البلدية الأرض. ثم بعد تعهد السفراء المسلمين ببناء المسجد، قدمت البلدية أرضاً أخرى بضواحي مجريط (مدير) الشرقية مساحتها (٣٠,٤٦٥) متر مربع، وفعلاً تبنت المملكة العربية السعودية مشروع المسجد الذي انتهى بينائه سنة (١٩٩٠ م) تحت إشراف سفارتها. وقد أصبح هذا المسجد أكبر مركز إسلامي في إسبانيا إذ يتسع لـ (٨٣٠) مصلي، وبه مكاتب وقاعة محاضرات ومركز ثقافي ومكتبة. وتدير هذا المركز رابطة العالم الإسلامي.

٦- الطريقة الدرقاوية في غرناطة والجماعة الإسلامية في الأندلس:

لم يبدأ الأندلسيون وباقي الإسبان يعودون إلى الإسلام ويكونون الجماعات الإسلامية المنظمة إلا في أواخر السبعينات. وكان الدافع للإسلام اتجاهين: اتجاه صوفي واتجاه قومي أندلسي.

أما الاتجاه الصوفي: فكانت جذوره في نفس السنة التي توفي فيها فرانكو، سنة (١٩٧٥ م)، عندما توجه عدد من شباب بلدة بورتانو (مقاطعة قلعة رباح) إلى بريطانيا، حيث التقوا برجل اسكتلاندي، اسمه الشيخ عبد القادر، كان قد اعتنق الإسلام بمكناس بالمغرب على يد الشيخ ابن حبيب، شيخ الطريقة الدرقاوية. فأمرهم الشيخ عبد القادر بالتوجه إلى قرطبة سنة (١٩٧٧ م). فانضم إليهم هناك عدد من الراجعين إلى الإسلام. وفي سنة (١٩٧٩ م) قررت الجماعة الانتقال إلى إشبيلية، لكنها اصطدمت مع الشرطة لمعارضتها احتفالات «الأسبوع المقدس»، فقررت الاتجاه إلى مقاطعة ولبة، ثم إلى غرناطة

سنة (١٩٨٠م)، حيث أعلنت أن اسمها «جمعية عودة الإسلام إلى إسبانيا». وفي (٢٢ / ٩ / ١٩٨٠م) سجلت الجمعية بوزارة العدل الإسبانية تحت اسم «الجمعية الدينية لنشر الإسلام في إسبانيا». واستأجرت عمارة في الحي القديم من غرناطة، وأقامت فيها مسجدها ومكاتبها ومشاريعها الاقتصادية. وأقامت أول نشاط لها علني بالمدينة عندما أقامت صلاة عيد الفطر بجذائق قصر الحمراء سنة (١٤٠٠هـ) (١٣ / ٨ / ١٩٨٠م). وحضر في هذه الصلاة حوالي (٢٠٠) مسلم إسباني، رجالاً ونساءً وأطفالاً.

وأخذت أعداد أفراد الجماعة تتضاعف، فبدأت ترسل وفوداً إلى البلاد العربية، وشرعت في إقامة المشاريع الإسلامية كإقامة مسجد في حي البيازين الذي لم ير النور إلى اليوم، وشراء بيت كبير في نفس الحي، حوله إلى زاوية للطريقة الدرقاوية ومركز إسلامي، وقد بيع مؤخراً. وتكاثر أعضاء الجمعية إلى عدة مئات، وأخذ الطابع الإسلامي يظهر بوضوح في غرناطة، ونظمت الجمعية مؤتمرات إسلامية كما نشرت مجلة إسلامية اسمها «البلاد الإسلامية».

لكن ما كادت تشتهر هذه الجماعة حتى أخذت تتقهقر لأسباب متعددة، منها داخلية ومنها خارجية، الداخلية، كطريقة تنظيمها المبنية أساساً على المركزية المطلقة حول الشيخ عبد القادر، وكالطريقة الخشنة والعنيفة في تعامل الجماعة مع الغير، وكمطالبة الجماعة المنضمين إليها بالانسحاب من المجتمع الأندلسي الذي تعدّه كافراً، وكاتهام الجماعة لكل من سواها من المسلمين بالضلال والكفر. والخارجية، التي أدت إلى تبعثر آراء أعضائها فيما يخص القومية الأندلسية والتصوف بسبب تأثير مسلمي الخارج. فكثرت الانشقاقات.

ونج عن هذه الجمعية الأم عشرات الجمعيات الإسلامية عبر الأندلس. وغير أتباع الشيخ عبدالقادر الباقون إسم الجمعية إلى «المرابطون»، وإسم مجلتها إلى «المرابطون» كذلك، وارتبطت الجماعة بشكل أو ثقل بالمراكز التابعة للشيخ عبد القادر في بريطانيا

والدغارك والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من البلاد. أما في إسبانيا فلهم ثلاثة مراكز رئيسية: إشبيلية (الأندلس)، وبالة ميورقة (الجزر الشرقية)، ولباو (أسكادي).

أما «الجماعة الإسلامية بالأندلس»، فقد انبثقت عن تجربة أندلسية بحتة، وتكونت كنتيجة طبيعية للحركة القومية الأندلسية ذات الجذور الإسلامية. وتعد هذه الجماعة نفسها حركة إسلامية ذات أصالة في أرض الأندلس، وترى في بلاس انفانتي مؤسسها الأول ووالدها الروحي. ففي سنة (١٩٨١م)، أشهر أنطونيو مدينة، أحد الشباب القومي الأندلسي، إسلامه، وسمى نفسه عبد الرحمن، والتحق بـ«جماعة إشبيلية الإسلامية» المكونة من أفراد من المجموعة الأولى، وبعد شهور التحق به زملاؤه بالعشرات. وانشقت هذه المجموعة عن «جماعة إشبيلية الإسلامية» سنة (١٩٨٢م)، وكونت «الجماعة الإسلامية بالأندلس» وأجرت مركزاً جديداً في إشبيلية.

ثم انطلقت «الجماعة» من إشبيلية، وفتحت مراكزها في غرناطة، وشريش، ومالقة، والمرية، ومرسية وغيرها من المدن. وتنظمت هذه الجماعة على أساس شورى لا مركزي، فلها مجلس أعلى يتكون من ممثلي فروعها في المدن المختلفة، يرأسها رئيس منتخب. وتؤخذ كل القرارات بالتشاور.

وقامت الجماعة بأول نشاط لها علني سنة (١٩٨٣م) بتنظيم حفل ثقافي إسلامي أندلسي على مستوى رفيع في إشبيلية تخليداً لذكرى المعتمد بن عباد. فكان حفلاً رائعاً حضره عدة آلاف من أهل إشبيلية وجاراتها مريانة. ثم في نفس السنة نظمت الجماعة أسبوعاً ثقافياً بالتعاون مع جامعة مالقة. وفي سنة (١٩٨٤م) قامت الجماعة بحفل معاكس في غرناطة؛ لما تقوم به الكنيسة والدولة من احتفال بسقوط المدينة من يد المسلمين. وكان لمظاهرة المسلمين المعاكسة صدى كبير في الصحافة، وقد حضره عدة آلاف من أهل غرناطة. ثم عقدت الجماعة مؤتمرها العام في ضواحي غرناطة لبداية انطلاقة جديدة. وفي

سنة (١٩٨٥م)، نظمت الجماعة المؤتمر الدولي الأول للمسلمين الأوروبيين في إشبيلية بهدف توحيد مجهود الدعوة إلى الإسلام من طرف أهل البلاد في أوروبا.

وفي سنة (١٩٨٦م)، اشترت الجماعة بيتاً في قرطبة وحولته إلى مركز إسلامي وقررت أن تكون قرطبة مركزها. ومنذ سنة (١٩٨٨م)، أخذت الجماعة تهتم بالشئات الأندلسي، فأقامت مؤتمراً عالمياً له في بلدة قسطة، بمنطقة جبل طارق، كان له صدى كبير في إسبانيا.

وأهم إنجاز للجماعة هو تأسيسها سنة (١٩٩٤م) لـ«جامعة ابن رشد الإسلامية» بمدينة قرطبة، وأول مسجد بالمدينة. وقد ابتدأت هذه الجامعة بإعطاء دروسها سنة (١٩٩٥-١٩٩٦م). والجامعة كانت ضرورية، إذ الأعداد الهائلة التي تنضم إلى الجماعة وتعتنق الإسلام تحتاج إلى توعية إسلامية. وقد أرسلت الجماعة العشرات من أفرادها إلى جامعات البلاد الإسلامية، ولكن النتيجة كانت أقل من المرغوب فيه. فكان القرار هو فتح جامعة إسلامية في الأندلس كمؤسسة إسلامية لنشر الدعوة بين أهل الأندلس.

٧- المنظمات الإسلامية بالأندلس:

تتكون منطقة الأندلس من ثمان مقاطعات، وهي من الغرب إلى الشرق: ولبة، وإشبيلية، وقادس، وقرطبة، وجيان، ومالقة، وغرناطة، والمرية. ولم يفتح في هذه المنطقة أول مركز إسلامي إلا سنة (١٩٧٤م)، فتحه الطلبة المسلمون في مدينة غرناطة. وتكاثرت المراكز الإسلامية والمساجد منذ ذلك الحين إلى أن وصلت إلى (٣٨) في أوائل سنة (١٩٩٦م) حسب الجدول رقم (٢) وهي في تزايد مستمر.

المقاطعة	الأندلسية	المغربية	الأخرى	المجموع
ولبة	١	١	—	٢
إشبيلية	٣	١	١	٥
قادس	١	٢	—	٣
قرطبة	٤	—	—	٤
جيان	—	—	١	١
مالقة	٢	١	٢	٥
غرناطة	٩	—	١	١٠
المرية	٢	٥	١	٨
المجموع	٢٢	١٠	٦	٣٨

الجدول رقم ٢ المساجد والمراكز الإسلامية في الأندلس سنة (١٩٩٦م):

ومن بين هذه المراكز، اثنان وعشرون مركزاً أسسها الراجعون إلى الإسلام من بين الأندلسيين، و عشرة مركز أسسه المغاربة المقيمون في الأندلس وستة مراكز أسسها غيرهم من المسلمين القاطنين في الأندلس.

ففي مقاطعة ولبة يوجد مصلى في عاصمتها أسسه المغاربة في سنة (١٩٩٢م). وفي نفس السنة قررت بلدية المنستير تحويل مسجد قلعتها العتيق إلى العبادة الإسلامية، واستدعت «الجماعة الإسلامية في الأندلس» للبدء في الصلاة فيه. وقد تكونت جماعة إسلامية في تلك البلدة الجبلية حول ذلك المسجد.

أما في مقاطعة إشبيلية، فكل مراكزها الإسلامية موجودة في العاصمة. فأول جمعية إسلامية تكونت في إشبيلية هي «جماعة إشبيلية الإسلامية» سنة (١٩٨١م)، ولها مركز مستأجر. كما أن في سنة (١٩٨٣م) فتحت «الجماعة الإسلامية في الأندلس» مركزها. ثم بعد سنين أسس المرابطون مركزاً لهم في إشبيلية. وكل هؤلاء من الراجعين إلى الإسلام. ومن جهة أخرى فتح في أوائل التسعينات المغاربة مركزاً إسلامياً لهم، ثم فتح المسلمون العرب الشرقيون مركزاً آخر. فيكون مجموع المراكز الإسلامية في مدينة إشبيلية خمسة، وكلها بيوت وشقق مستأجرة.

أما في مقاطعة قادس، فقد فتحت «الجماعة الإسلامية بالأندلس» مركزاً لها في مدينة شريش سنة (١٩٨٥م)، واشترت بيتاً سنة (١٩٩٠م)، وحولته إلى مسجد. كما قام المغاربة سنة (١٩٩٢م) باستئجار محل حولوه إلى مركز إسلامي في نفس المدينة. وقام المغاربة بفتح مصلى سنة (١٩٩٠م) في مدينة الجزيرة الخضراء. فيكون عدد المراكز الإسلامية في مقاطعة قادس ثلاثة.

أما في مقاطعة قرطبة، فقد اشترت «الجماعة الإسلامية في الأندلس» بيتاً سنة (١٩٨٦م)، وحولته إلى مسجد ومركز إسلامي. وفي سنة (١٩٩٤م) بنت الجمعية أول مسجد في المدينة بعد رجوع الإسلام لها، وهو ملحق بجماعة ابن رشد الإسلامية التي أسستها الجماعة. وفي نفس المدينة مسجد آخر كان بني بعد الحرب العالمية الثانية. وتحول إلى مخزن لمعدات الحديقة العامة المحيطة به إلى أن أعطي من طرف البلدية لجمعية إسلامية قامت برعايته. كما تكونت في بلدة المدور جمعية إسلامية أخرى حول الدكتور عبد السلام منصور إسكوديرو. وبهذا تكون في قرطبة أربعة مراكز إسلامية ومساجد، كلها للأندلسيين.

أما في مقاطعة جيان فقد أسس الباكستانيون المقيمون في بلدة قزلون (لينارس) جمعية إسلامية تحت اسم «جمعية جيان الإسلامية»، ولها مصلى. وهي الوحيدة في هذه المقاطعة

حسب علمي.

أما مقاطعة مالقة، فقد فتحت الجماعة الإسلامية بها مركزاً سنة (١٩٨٦م)، واشترت بها بيتاً سنة (١٩٨٨م)، حولته إلى مركز إسلامي. وفي سنة (١٩٩٦م)، هدمته لبناء مسجد ومركز إسلامي على أرضه. وأسس عدد من المسلمين الأندلسيين «جمعية مالقة الإسلامية» في مالقة واشتروا بيتاً حولوه إلى مركز إسلامي، كما فتح المغاربة مركزاً إسلامياً ببلدة تورس مولينوس. وبنى الأخوة السعوديون مسجدين، أحدهما مسجد الملك عبد العزيز في مربلة، والثاني في بلدة سهيل. وبهذا يكون عدد المراكز الإسلامية في مقاطعة مالقة خمسة، وهي في زيادة. وفي بلدة «بلانديا دي لا كونسبسيون» التي اعتنق عمدتها، سليم سيلفا، الإسلام.

أما في مقاطعة غرناطة، ففيها أكبر عدد من المراكز الإسلامية، أحدها للطلبة العرب والباقية كلها للأندلسيين الإسبان الراجعين إلى الإسلام، ومعظمها منبثق من «جمعية عودة الإسلام إلى إسبانيا» التي تحدثنا عنها سابقاً. ومعظم هذه المراكز في مدينة غرناطة، وفي حي اليبازين بالذات. ويوجد مركز إسلامي واحد في بلدة أرجبة في جبال البشرات. وعدد هذه المراكز حوالي عشرة.

أما في مقاطعة المرية، فلقد فتحت «الجماعة الإسلامية بالأندلس» مركزاً بها سنة (١٩٨٨م)، وهو عبارة عن مركز مؤجر. كما فتح في أواخر التسعينات عدد من المسلمين الأندلسيين التابعين للطريقة النقشبندية مركزاً في بلدة لوشر بالبشرات. وقد تنظم المغاربة وفتحوا خمسة مراكز لهم، واحد منها في مدينة المرية، وأربعة في مدن المقاطعة الأخرى. كما نظم السنغاليون أنفسهم وفتحوا مركزاً إسلامياً في المقاطعة.

٨- المنظمات الإسلامية في قطلونية:

قطلونية منطقة ذات حكم ذاتي على حدود فرنسا، لم يمكث الحكم الإسلامي فيها

طويلاً، لكن أصبحت المنطقة الثانية من حيث التواجد الإسلامي بعد الأندلس، وبها يسكن حوالي ثلث مسلمي إسبانيا، منهم حوالي (٨٠,٠٠٠) مغربي (٢٠,٠٠٠) أفريقي و (٢٠,٠٠٠) من جنسيات أخرى. وحوالي (١٠,٠٠٠) على الأقل لهم الجنسية الإسبانية، منهم عدة مئات من أهل البلاد. والفرق بين قطلونية والأندلس هي أن معظم التنظيم الإسلامي في قطلونية من مجهود المغاربة، بينما هو من مجهود الأندلسيين في منطقة الأندلس كما رأينا. أما سكان قطلونية، فحوالي (٦,٢٠٠,٠٠٠) نسمة، أي أن المسلمين يكونون بها نسبة حوالي (٢) في المائة. وقطلونية مكونة من أربع مقاطعات، وهي برشلونة وجرنندة ولا ردة وطرقونة. وبها حوالي (٢٥) مسجد ومركز إسلامي تتوزع على المقاطعات الأربعة حسب الجدول رقم (٣). وهي في تزايد مستمر. ويمكن تقدير عددها سنة (١٩٩٦م) بحوالي أربعين مسجداً ومصلياً.

المقاطعة	إسبانية	مغربية	أخرى	المجموع
برشلونة	١	١٥	٤	٢٠
جرنندة	—	٢	١	٣
لاردة	—	١	—	١
طرقونة	—	١	—	١
المجموع	١	١٩	٥	٢٥

وفي سنة (١٩٩٢م)، افتتحت أول مقبرة إسلامية في المنطقة ببلدة سارديولة بمقاطعة برشلونة. كما سمحت الحكومة القطلونية للمسلمين بالذبح على الطريقة الإسلامية سنة (١٩٩١م).

لا شك أن الفضل في الانبعاث الإسلامي في منطقة قطلونية يعود لجماعة التبليغ والدعوة. ولم يظهر هذا الانبعاث بزخه الحالي إلا بعد سنة (١٩٩٠م). وأول مصلى فتح في المنطقة كان من مبادرة الراهبة الكاثوليكية تيريزا لوسادا، حيث فتحت سنة (١٩٧٦م) مركزاً للصلاة سميته «دار الثقافة» في مدينة برشلونة حرصاً منها على «ادماج المهاجرين المغاربة». وبقي هذا المصلى مفتوحاً إلى سنة (١٩٨٠م)، حين فتح الطلبة المسلمون «المركز الإسلامي» في شارع مرديانة ببرشلونة بمساندة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة. فأصبح هذا المركز هو النواة الأولى لانتشار الإسلام في قطلونية.

وفي نفس السنة، أسست الودادية المغربية مصلى للمغاربة في شارع بالمس ببرشلونة، تلى ذلك تحول المركز الثقافي الباكستاني، في شارع «هنبتل» ببرشلونة إلى مسجد طارق بن زياد. فأصبح هذا المسجد مركز نشاط جماعة التبليغ، وكاثر فيه المغاربة إخوانهم الباكستانيين، وأصبح النواة لتأسيس مساجد أخرى في منطقة قطلونية. ولم يفتح مصلى في مدينة لاردة إلا سنة (١٩٨٩م). وفي نفس السنة، فتح مصلى ببلدة روزس بمقاطعة جرندة (مسجد أبي بكر). أما مقاطعة طرقونة. فقد فتح أول مصلى بها سنة (١٩٩١م)، في بلدة بيزانتي دي كالديرس.

والجدير بالذكر أن لقطلونية شخصية خاصة بها داخل الدولة الإسبانية. فلها لغتها الخاصة وهي القطلانية. والعلاقة بين القطلانيين والمغاربة الذين يكونون معظم أعضاء المجتمع المسلم في المنطقة هي علاقة جيدة. لكن هناك أقلية صغيرة من العنصرين الذين

يتباحثون بمحاربة المسلمين، وأحياناً لا يتورعون عن الإعتداء عليهم. فمثلاً كان إمام مسجد روزاس بمنطقة جرنده ضحية عدوان عنصريين قتلانيين في شهر فبراير سنة (١٩٩٠م) وفي (٨ / ٨ / ١٩٩١م)، خرج بعض سكان بلدة أنغلس، بمقاطعة برشلونة، في مظاهرة ضد مشروع فتح مصلى ببلدتهم.

أما موقف الحكومة القطلانية، فابتدأ بموقف يكاد يكون معادي بتصريح جوردي بوجول، رئيس الحكومة المحلية، في (٢ / ١١ / ١٩٨٩م) يتهم فيه الإسلام بأنه لا يمكن أن يستوطن في قطلونية. ولقد أدى هذا التصريح إلى رد فعل قوي من طرف المسلمين. فرد عليه إمام المركز الإسلامي، أبو سعيد (وهو من مصر) باسمهم. ولقد تحسن موقف الحكومة القطلانية نحو الإسلام بعد هذه «الحادثة».

ومنذ سنة (١٩٩٠م) أخذ المسلمون يصلون صلاة عيد الفطر جماعة في ساحة عامة من ساحات برشلونة، مما جعل الإسلام يظهر للزائر بوضوح. ولكن منطقة قطلونية لا زالت تنتظر بناء أول مسجد بها. إذ ليس فيها مسجد واحد مبني بهندسة إسلامية في الوقت الذي نجد في الأندلس أربعة مساجد جديدة، وعلى الأقل مسجدين قديمين استرجعا لصلاة المسلمين، ولكن الإسلام في قطلونية لا زال في بداية الطريق.

٩- المنظمات الإسلامية في باقي إسبانيا:

أما التواجد الإسلامي في المناطق الإسبانية الأخرى فهو كما هو موضح في الجدول رقم (٤) الذي يبين عدد المساجد وأماكن الصلاة بها سنة (١٩٩٦م).

المنطقة	الإسبانية	الأخرى	المجموع
الأندلس	٢٢	١٦	٣٨
قطلونية	١	٢١	٢٢
مجرىط	٢	٨	١٠
بلنسية	—	٦	٦
الجزر الخالدات	—	٤	٤
أسكادي	١	٣	٤
مرسية	١	٢	٣
الجزر الشرقية	—	٣	٣
أشتورياس	١	١	٢
قشتالة مانشا	—	١	١
قشتالة ليون	—	١	١
أراغون	—	١	١
إستامادورا	—	١	١
جليقية	—	١	١
نبارة	—	١	١
لاريوخا	—	١	١
المجموع	٢٨	٧١	٩٩

الجدول رقم (٤) عدد المساجد وأماكن الصلاة في المناطق الإسبانية

نرى أن عدد المساجد الآن في إسبانيا يناهز المائة، منها الثلث أسسه الراجعون إلى الإسلام. وتعد منطقة مجريط الآن المنطقة الثالثة بعد الأندلس وقطلونية من حيث التواجد الإسلامي. كانت أول جمعية أسست بمجريط هي «الجمعية الإسلامية في إسبانيا»، وقد انتقلت من شقة إلى مسجد ومركز إسلامي متكامل في حي تطون بالعاصمة الإسبانية هو مسجد «أبو بكر الصديق». وهو أول مسجد بني في مجريط. وفي سنة (١٩٧٨م) انفصل عنها عدد من الأعضاء وأسسوا «المركز الإسلامي في إسبانيا»، كما سبق أن ذكرنا. كما أن السفارات الإسلامية في مجريط، وعلى رأسها سفارة المملكة العربية السعودية بنوا مسجداً كبيراً في إسبانيا سنة (١٩٩٠م)، وهو مركز إسلامي متكامل اسمه «المركز الإسلامي في إسبانيا»، كما سبق أن ذكر ذلك. وبمجريط كذلك جمعية إسلامية إسبانية أخرى اسمها «المعهد العربي الإسلامي للثقافة»، وحوالي خمسة محلات للصلاة أسسها المغاربة.

ومنطقة بلنسية هي المنطقة الرابعة من حيث التواجد الإسلامي. وبها حوالي ستة مراكز إسلامية، أهمها «المركز الإسلامي ببلنسية». وهو متكامل به مدرسة وقاعة للمحاضرات ومسجد للصلاة وبيت للإمام. بني سنة (١٩٩٢م) على أرض تبرعت بها بلدية بلنسية. كما أن بمنطقة بلنسية مسجداً آخر، وعدة أماكن للصلاة في مدينة بلنسية.

وهناك تواجد إسلامي واضح ومتنامي المقاطعات التالية: أسكادي، والجزر الخالدات، ومرسية، وأشتورياس. إذ في كل واحدة من هذه المناطق أكثر من مصلى واحد، وبها كلها (عدى الجزر) مركز مؤسس من طرف الإسبان الراجعين إلى الإسلام. أما المناطق الإسبانية الثمانية الأخرى ففي كل واحدة منها مصلى واحد على الأقل.

ويتوقع أن تتزايد عدد أماكن الصلاة في إسبانيا إلى مائتين في دخول القرن الميلادي الحادي والعشرين. أما المساجد المبنية على هيئة مسجد فعددها الآن في كل إسبانيا ثمانية (٤) بالأندلس و(٢) بمجريط و(٢) ببلنسية، ويتوقع أن يتضاعف عددها في السنوات الخمس القادمة.

١٠- الخاتمة:

بالنسبة لمعظم دول غرب أوروبا، خاصة فرنسا، فالإسلام جديد في إسبانيا، إذ لم يكن له وجود يذكر قبل (١٩٨٠م)، بينما تأسست أول الجمعيات الإسلامية في السبعينات، وظهرت أكثر في الثمانينات بظهور أعداد هامة وفاعلة من الراجعين إلى الإسلام في منطقة الأندلس. وفي (١٤ / ٧ / ١٩٨٩م) اعترفت إسبانيا بالإسلام «كديانة لها جذور في إسبانيا»، كما سبق لها أن اعترفت بالبروتستانتية واليهودية. وبهذا أصبح نظرياً للمسلمين في إسبانيا حقوق على الدولة الإسبانية، ومساندة مالية من طرفها. منها عدم دفع الضرائب، ودفع الدولة لرواتب معلمي الدين الإسلامي للمسلمين في مدارس الدولة، والحق في تأسيس المدارس الإسلامية، والزواج على الطريقة الإسلامية... الخ.

لكي تحصل الجماعة الإسلامية على هذه الحقوق كان عليها أن تنظم نفسها في اتحاد عام يجتمع في «اللجنة الإسلامية الإسبانية» للتفاوض مع الدولة الإسبانية على هذه الحقوق. وهكذا اجتمعت حوالي (٣٠) جمعية إسلامية في «الاتحاد الإسباني للمنظمات الدينية الإسلامية» (FEERI). لكن هذا الاتحاد أخذ ينحاز ضد بعض الجمعيات الإسلامية، خاصة الأندلسية منها، فتجزأ إلى اتحادين. ولكن الوضع لا زال غير مرضي لمعظم مسلمي إسبانيا، إذ أن «اللجنة الإسلامية الإسبانية» لم تقم بشيء يذكر للحصول على حقوق المسلمين، خاصة فيما يخص تعليم اللغة العربية، والإسلام في المدارس العامة.

والحقيقة لم يظهر الإسلام في إسبانيا بشكل واضح إلا في هذا العقد الأخير من القرن العشرين. إذ أصبحت مراكز الصلاة تتكاثر حتى وصلت المائة، كما فتحت أول جامعة إسلامية أبوابها «جامعة ابن رشد الإسلامية» في مدينة قرطبة العتيقة.

ويتوقع أن تتزايد أعداد المسلمين في العقود القادمة باعتناق الإسلام لأهل البلد وبهجرة المسلمين. ولهذا نرى حقبة جديدة من الوجود الإسلامي في أرض الأندلس العتيقة بعد طول انحسار.

والحمد لله رب العالمين

المراجع:

- ١- د. علي المنتصر الكتاني، «الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم، جذورها ومسارها»، كتاب الأمة، قطر، عام ١٤١٢ هـ.
- ٢- د. علي المنتصر الكتاني، «إنبعاث الإسلام في الأندلس»، مجمع البحوث الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان (١٩٩٢ م).
- ٣- محمد عبد الله عنان، (دولة الإسلام في الأندلس)، القاهرة (مصر) عام (١٩٦٩ م).



